

إبطال دعوى

عبد العزيز القارىء

أنَّ (التصوف) هو (عين التوحيد) !

وأنَّ الصوفية من أهل السنَّة والجماعة) !!

(الحلقة الثانية)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه، أما بعد فقد
اطلعت على مقال للدكتور عبد العزيز قارئ نشرته جريدة المدينة في ملحقها المسمى بالرسالة
تحت عنوان "من يرى أن مذهب أهل السنة واحد فليخرج بقية المذاهب من هذه الدائرة "
وبتاريخ ٧ رجب ١٤٢٦ هـ الموافق ١٢ أغسطس ٢٠٠٥ م .

وتخلل هذا المقال عنوانان ثانويان أولهما قوله : " نسبة كبيرة من شباب الصحوة مصابة بهزال
عقلي وسداجة في التفكير " .

وثانيهما - " التلطف مع الصوفية كان وصية الشيخ ابن باز لي ولغيري من طلبة العلم والدعوة
" .

وسأقف مع هذه العناوين الثلاثة ثم أدلف إلى مناقشة ما يتيسر لي من مقاله .

أولاً - مع عنوانه الرأسي ألا وهو قوله :

" من يرى أن مذهب أهل السنة واحد فليخرج بقية المذاهب من هذه الدائرة "

أقول : لا تظن أيها الرجل أن هذا هو قول ربيع فائمة الإسلام هم الذين قرروا أن أهل الحديث هم الطائفة المنصورة والفرقة الناجية من بين الفرق جميعاً وعلى رأسهم الإمام عبد الله بن المبارك وإمام أهل السنة بعده على الإطلاق الإمام أحمد ابن حنبل والإمام البخاري والإمام الترمذي والإمام ابن أبي عاصم والإمام محمد بن جرير والإمام الآجري والحاكم أبو عبد الله النيسابوري وشيخه الإمام ابن حبان وأبو القاسم الأصبهاني قوام السنة والخطيب البغدادي والإمام الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي والإمام أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي وشيخ الإسلام ابن تيمية والإمام ابن القيم والإمام ابن رجب وابن كثير الشافعي وابن حجر العسقلاني الشافعي والعيني من أئمة الأحناف والإمام محمد بن أحمد السفاريني وشهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني وأبو الحسن محمد بن عبد الهادي الحنفي المعروف بالسندي ، والإمام محمد بن عبد الوهاب وابنه الإمام عبد الله وغيرهم الكثير من العلماء المنصفين .

ونقول أن كل من وافق أهل الحديث من المنتسبين إلى المذاهب في عقيدتهم ومنهجهم وتولاهم فهو منهم ومن خالفهم ونابذهم من أهل المذاهب فليس منهم ولا سيما أهل الطرق الصوفية القبورية مثل الرفاعية والشاذلية والنقشبندية والسهروردية والجشتية والقادرية والتيجانية والمرغنية وغيرها من الطرق التي لا يتسع المقام لسردها ، فهذه مؤلفاتهم تدينهم بالضلال قبل مؤلفات أهل السنة في نقدهم ، فأهل هذه الطرق لا يشك مسلم عنده أدنى فهم وإدراك للإسلام أنهم خارجون عن أهل السنة بعيدون كل البعد عنهم ولا سيما من أصيب من أهل هذه الطرق بوحدة الوجود والحلول واعتقاد أن الأولياء يعلمون الغيب ويتصرفون في الكون .

فإذا كان القارئ يوافقنا على هذا التقرير فليعلن ذلك وإن كان يخالفنا فليصرح برأيه .

ثانياً - تدعي أن الشيخ ابن باز أوصى بالتلطف بالصوفية وغيرهم فهل من اللطف قولك "نسبة كبيرة من شباب الصحوة مصابة بهزال عقلي وسداجة في التفكير " .

وما إخالك تقصد بها إلا الشباب السلفي فقط ولو كنت تقصدهم وغيرهم فأين هو اللطف الذي تدعيه ولماذا تخص به الصوفية فقط .

ونقول : إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤوفاً رحيماً ليناً متواضعاً يخفض جناحه للمؤمنين ، فلم تترك طريقة العلماء في الاحتجاج بقول الله وقال رسول الله وتقول قال ابن باز على طريقة عوام المقلدين ، إن ابن باز كان ديدنه قال الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مانع أن تقول قال ابن باز وقال العالم الفلاني بعد الاحتجاج بالنصوص القرآنية والنبوية .

لماذا تحتج بابن تيمية وبابن باز فيما يوافق رأيك ولا تعرج على أقوالهما وجهادهما ومنهجهما فيما يخالف رأيك ، وأبشرك أن ابن تيمية وابن باز يخالفانك مع غيرهما من أئمة الإسلام في الاعتراف بأن أهل الحديث هم الطائفة المنصورة والفرقة الناجية آخذين ذلك من أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقوال أئمة الهدى ، ومن واقع أهل الحديث سابقاً ولاحقاً في التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وكم لشيخ الإسلام ابن تيمية من الأقوال العطرة في مدحهم والثناء عليهم .

وإلى مناقشة ما يمكن من أقوال القارئ في هذا المقال :

١- قال : " ودعوت علماء الصوفية اليوم وحكماءهم إلى إصلاح التصوف من داخله بدلاً من محاولات " التبرير " التي رفع لواءها بعضهم " .

أقول : وأنا أسأل القارئ :

أ- من هم علماء الصوفية اليوم وحكماءهم سمهم لنا لنعرفهم ولندرك أنك أحلت على مليء

ب- بين لنا كيف يمكن إصلاح التصوف من داخله ؟ هل تريد بذلك من كتب التصوف ؟ إن كنت تريد ذلك فسم لنا كتب التصوف الكفيلة بإصلاح الصوفية وتصوفهم .

ج- أنا أرى أن هذا المنطق غير صحيح ، فالمصلحون في كل زمان يسعون إلى إصلاح الأمة بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وبما كان عليه السلف الصالح من الصحابة ومن تبعهم بإحسان ، والله أمرنا باتباع الكتاب والسنة والتحاكم عند التنازع إليهما ولم يأمر المختلفين أن ترجع كل طائفة إلى ما عندها وعند شيوخها .

فقولك : والإصلاح يكون بالعودة إلى التصوف الصحيح دعوى لا رصيد لها من واقع الصوفية .

ومن تسميهم صوفية وتصوفهم صحيح عندك لا يوافقك غيرك كابن الجوزي بأنهم من الصوفية كالفضل بن عياض وإبراهيم بن أدهم ومعروف الكرخي -رحمهم الله- فإنهم كانوا من صالحى أهل السنة عقيدة وعبادة وزهداً ، فإذا سلم لك جدلاً بأنهم صوفية فإنه يقف أمامك عقبة كأداء وهي أنهم ليس لهم مؤلفات تقرر عقائد الصوفية ومنهجهم وفقهم ، فإن كنت تعلم لهم مؤلفات لا نعلمها تكفل لهم التصحيح الذي يرضاه الله ويقرره الإسلام وعلماءه ، فاذكرها لنا حتى نستفيد منها ونضم صوتنا إلى صوتك في مطالبة الصوفية بالتصحيح منها وإلا فاسلك مسلك العلماء المصلحين في المناداة بالرجوع إلى الكتاب والسنة ، وما كان عليه الصحابة الكرام ومن تبعهم بإحسان ، فإن هذا أمر إن ناديت به وحثت عليه ناديت بالحق وأحلت على مليء ، فكتب عقائد أهل السنة ودواوين السنة تزخر بها المكتبات وهي في متناول أيدي الناس وجوداً ووضوحاً ليس فيها همهمات الصوفية ولا شطحاتهم الحلولية الوجودية .

٢- قال القارئ : " والإصلاح يكون بالعودة إلى التصوف الصحيح الذي هو مذهب في السلوك مستنبط من الكتاب والسنة وملتزم بحدود الشريعة ، وهو الذي أسسه الأوائل من مشايخ السلف كما يسميهم شيخ الإسلام ابن تيمية مثل إبراهيم بن أدهم ، والفضيل بن عياض وأبي سليمان الداراني والسري السقطي ومعروف الكرخي والجنيد بن محمد وعبد القادر الجيلاني .

أقول :

في وصف التصوف^(١) بهذه الأوصاف نظر ؛ ففيه عقائد ومناهج وأصول ليست مأخوذة من الكتاب والسنة ولا منضبطة بهما . ولا تجد عقائد وأصول منضبطة إلا عقائد وأصول أهل السنة والحديث ومن سار على نهجهم بخلاف الصوفية وغيرها من الفرق .

٣- قال القارئ : " وهدفي كان توجيه الاهتمام ولفت الأنظار - خاصة أنظار إخواننا الصوفية - إلى التصوف الصحيح ، ليرتبطوا بالكتاب والسنة ويظلوا داخل حدود الشريعة ، ولتكتاف جميعاً ضد الأخطار المحدقة بنا والتي تتهددنا نحن أهل السنة اليوم " .

أقول : هذا الكلام فيه ما فيه ، والصوفية اليوم وقبل اليوم ومن عهد الإمام أحمد وإسحاق وأبي زرعة يتخبطون في البدع وكلمما امتد بهم الزمان زادوا تخبطاً وبعداً عن منهج أهل السنة وعقائدهم ولقد أحلت الصوفية وغيرهم إلى غير مليء .

قال القارئ : " ولكن الإخوة الذين ردوا عليّ صرفوا الاهتمام وافتوا الأنظار إلى غير ذلك ، وكادوا بتعجلهم يفسدون هذا الهدف ، والعجيب أنهم اعترضوا بمجرد أن قرؤوا العناوين التي انتقتها جريدة " المدينة " من محاضرتي ونشرتها في ملحق " الرسالة " ، فردوا على محاضرة لم يسمعوها ، ولم يقرؤوا نصها وقد نشر نصها في موقع " الصوفية " ، وبعض الأفاضل الذين يحترمون المنهج العلمي ويتأدبون بأداب العلماء طلبوا مني نص المحاضرة فلما قرأوه زال الإشكال وذهب الإنكار " .

أقول :

أ- إن كانت جريدة المدينة لم تنشر من كلامك إلا العناوين - وهذا غير صحيح - فلماذا لم تنكر عليها هذا التصرف في حينه وترسل بتواضع وأدب نص كلامك إلى الذين انتقدوك ممن لا هدف لهم إلا الذب عن الحق أو تنشره في صحيفة أخرى بكامله وتريح الناس من الأخذ والرد والقييل والقال .

ومن يدري أنك نشرت مقالك في موقع الصوفية ولماذا لم تنشره في مواقع أهل السنة ؟ .

(١) والإسلام مع ذلك ليس محصوراً في السلوك .

ثم لماذا سكت طوال أكثر من ثلاثة أشهر ثم تقول الآن هذا الكلام العجيب ؟

ب- الذين ناقشوا مقالك الذي نشر في الرسالة وجدوا عناوين في هذه الرسالة مأخوذة من كلامك يعقبها كلامك ، فما كان النقاش مقصوداً على العناوين فقط ، وإنما كان النقاش للكلام الذي قدمته الرسالة مع عناوينه المأخوذة من كلامك .

٤- قال القارئ : " ولكن هذه الزوبعة التي أثيرت حول الموضوع كشفت عن أمور :

أولاً - المستوى الهزيل الذي غلب على الردود مما يدل على أن بعض من ينتسب إلى السلفية لا يقرؤون - لا يقرؤون حتى لابن تيمية وابن القيم - بل الملفت أنهم لم يقرؤوا المحاضرة التي يردون عليها " .

هكذا يقول القارئ الذي ينفذ وصية ابن باز باللطف يرمي ردود أهل السنة السلفيين القائم نقدهم على العلم الصحيح والمنهج الصحيح والنقل الصحيح بالهزال .

ويرى أنهم غير سلفيين ليس لهم من السلفية إلا الانتساب ، لا يقرؤون حتى لابن تيمية بل ولا حتى محاضراته التي يردون عليها ، ولا ندري ما هي مقاييس الهزال عند القارئ .

أهكذا يكون اللطف وهكذا يكون المنهج العلمي وأدب أهل العلم ؟ .

المنهج العلمي أن تسوق نصوصهم وتناقشها بلطف وأدب ومن خلال عرض نصوصهم ونقاشها يظهر الهزال والغثاء في أي الأطراف ، أما هكذا تقذفهم وتحط منهم ومن كتابتهم ، فهذا ليس من منهج أهل العلم .

ولا أريد أن أجاريك في الغلظة والجفاء وألتمس لك العذر لأن النقد العلمي ليس من شأنك ولا خبرة لك به وبأساليب أهله ، وأنصحك بتحري الحق وبسلوك أهل العلم في النقاش ولو كنت تستفيد من منهج ابن تيمية وتقرأ له بوعي لعرفت طرق النقاش وقيمة المنهج السلفي وأهله وكيف تتعامل مع الصوفية وكيف تتعامل مع السلفيين وغيرهم .

٥- قال القارئ :

" ثانياً - سوء الظن والمبادرة إلى الاتهام ، بعضهم بشكل مباشر وسائرهم من ناحية ظنهم أنني مدحت " التصوف المنحرف " وهاتان الخصلتان : " سوء الظن والمبادرة إلى الاتهام " أصبحتا حرفة طائفة انتسبوا إلى " السلفية " وبعضهم أبعد ما يكونون عنها " .

أقول : أين هو اللطف الذي أوصاك ابن باز بالصوفية وغيرهم ؟ وأين هو الكلام الذي يحمل سوء الظن والمبادرة إلى الاتهام وأين هي هذه الطائفة التي انتسبت إلى السلفية وهي تحترف الاتهام وهي أبعد ما تكون من السلفية ؟ وما هي السلفية عندك ؟ وهل هم يتهمون العلماء ويقولون إنهم جواسيس وعملاء ولا يعرفون الواقع إلى آخر التهم والطعون وعملاء أمريكا وبوش .

أخي أنا أذكر أنني ناقشتك مناقشة علمية ومن يعرف التصوف ويعرف التوحيد لا يحتمل أن يقال : إن التصوف هو عين الوحيد ، فالتصوف لا ينفك عن الانحراف ومن تعدهم من الصوفية وتصل بهم على من يناقشك ليسوا من الصوفية وإنما ألصق بهم الصوفية هذا التصوف الذي هم براء منه ولم يخجل رؤوس الصوفية حتى عدوا منهم الصحابة وأئمة الإسلام وحتى الإمام أحمد الذي حارب التصوف وغيره من البدع والترهات .

وأذكرك مرة أخرى بأنك من أبعد الناس عن المنهج العلمي في طريق المناقشة فلا تذكر نصوص خصومك ولا تلتزم بنصيحة ابن باز ، فأين تقع هذه الاتهامات الغليظة من نصيحة ابن باز التي تعمل بضدها تجاه أهل الحق ؟ وهل يريد ابن باز وغيره ممن يأمر بالرفق هذه الطريقة التي تتعامل بها مع الصوفية والتصوف ؟ فأين هي النصيحة لله وللإسلام والمسلمين إذا كانت الصوفية قد استولت على عقول أكثر المسلمين وملاأت عقولهم بالعقائد الفاسدة والخرافات والتعلق بالأموات ... إلخ .

اقرأ لابن تيمية وانظر كيف واجه صوفية عصره ولا سما الرفاعية ، بل كيف واجه صوفية من قبله ، فهل يكتفي بكلام مجمل مثل كلامك فيقول التصوف المنحرف ولا يبين ما هو هذا الانحراف ولا أهله وهل هو يطالب الصوفية وغيرهم بالعودة الجادة الصريحة إلى الكتاب

والسنة ويسوق الأدلة والبراهين على ضلالتهم التي ينقلها بنصوصها من كتبهم ثم يكر عليها بالنقد الواضح القوي .

أو هو مثل القارئ يكتفي في بعضهم بكلمات مجملة ميتة فإذا ناقشه أحد بعلم ذهب يكيل لهم التهم وأن مستواهم هزيل إلى آخر التهم والطعون التي يخترعها لهم .

٦- قال القارئ :

" ثالثاً - أسلوب " الفظاظة " التي تميزت بها ردود بعض هؤلاء المنكرين كأنهم لم يقرؤوا قوله تعالى : (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر) حتى بلغت الفظاظة ببعضهم أن حكم على سائر الصوفية سابقاً ولاحقاً بأنهم خارج أهل السنة والجماعة " .

أقول :

١- أين هو اللطف الذي أوصاك به الشيخ ابن باز ، وأين الاستفادة من هذه الآية ، وألا ترى أن هذه الطريقة التي تسلكها قد جمعت بين الغلو في قضية التصوف والصوفية ، والتفريط والإفراط تجاههم والغلظة والفظاظة على أهل السنة ؟ .

٢- أنا الذي قال إن الصوفية سابقاً ولاحقاً ليسوا من أهل السنة وسقت لك كلام أئمة الإسلام الذين عاصروا سابقها مثل الإمام أحمد وأبي زرعة وكلام الذهبي وكلام ابن الجوزي في الصوفية ومؤلفاتهم التي قامت على الجهل والضلال من الحارث المحاسبي إلى السلمي والقشيري والغزالي .

٧- قال القارئ :

" ولو علم هذا المتسرع أن كلامه هذا يشمل كثيراً من أئمة الهدى لعض على أصبع الندم واغتسل وتاب ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن الجنيد بن محمد الذي يسميه " سيد الطائفة " : " .. فإن الجنيد قدس الله روحه كان من أئمة الهدى ... " (مجموع الفتاوى

. (٢٣٩/١١)

أقول :

١- من هم أئمة الهدى الذين يشملهم كلامي ؟ سمهم لنا ودع الإجمال في الكلام ، فإذا ذكرت أسماءهم فإن كانوا أئمة هدى حقاً كالإمام أحمد وإسحاق ومالك والشافعي والبخاري وأمثال هؤلاء تكون قد أسديت إليّ معروفاً تشكر عليه .

٢- لا أدري من أي أنواع الذنوب الذي ترى أنني أغتسل منه فأخشى أن يكون ردة وهل الاغتسال عندك شرط في قبول التوبة .

٣- أما الجنيد - رحمه الله - فمختلف فيه فابن جوزي ينقل القدر فيه وابن تيمية يزكيه ويحتاج الأمر إلى دراسة خاصة به ويرجح فيه ما يؤيده الدليل كما هي طريق أهل العلم .

٨- قال القارئ عن شيخ الإسلام - رحمه الله - :

" ويسمي المتقدمين من أئمة التصوف " مشائخ السلف " وهم إبراهيم بن أدهم ، والفضيل بن عياض ، وأبو سليمان الداراني ، والسري السقطي ، ومعروف الكرخي ، والجنيد بن محمد وبعدهم الشيخ عبد القادر الجيلي أو الجيلاني ويثني عليهم ويمدح أحوالهم ، من أراد أن يعرف ذلك فليقرأ جزء التصوف وجزء السلوك من مجموع الفتاوى ويقول : " ..وفي المتسمين بذلك -أي التصوف- من أولياء الله وصفوته وخيار عباده ما لا يحصى عدده ... " (مجموع الفتاوى ١٠ / ٣٧٠) فكل هؤلاء ليسوا من أهل السنة والجماعة ؟ حقاً إن من يقول هذا فقد ظلم نفسه ظملاً عظيماً . هذا الأسلوب أسلوب سقيم ، فعلينا جميعاً أن نعود إلى أسلوب السلف الذي أصله أئمة السلف وشرحه شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، ولا يترك الأمر لأهواء المعاصرين ، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة . وقد لخص " ابن باز " - رحمه الله - أسلوب السلف بقوله : " المقصود

الهداية وليس النكاية " .

أقول :

١- يعجبني قول القارئ : " فعلينا جميعاً أن نعود إلى أسلوب السلف الذي أصله أئمة السلف .. الخ ، وهذا منهجنا الذي ندعوا إليه ونطلب من الأمة جميعاً أن يعودوا إليه

ومن منهجهم التمسك بنصوص الكتاب والسنة وذلك هو الميزان الذي يجب أن توزن به المناهج والعقائد والمذاهب والأشخاص وأرجو للقارئ أن يوفق للالتزام به ولا سيما في موضوع التصوف والصوفية وأخاف عليه أن يخالف ما يقول .

٢- قد ذكرت كلام أئمة السلف ومن أخذ بقولهم ممن بعدهم من العلماء في ردي على مقاله الأول فهل قرأه وهل يعتبر الإمام أحمد وأبا زرعة ومن أشار إليهم الذهبي من أئمة الحديث .

٣- لا يسلم له أن الفضيل بن عياض وإبراهيم بن أدهم من الصوفية فلا يجوز التكثر بهم للصوفية .

٤- نقل ابن الجوزي بإسناده عن أبي عبد الرحمن السلمي أن أول من تكلم في بلده في ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية ذو النون المصري فأنكر عليه ذلك عبد الله بن عبد الحكم وكان رئيس مصر وكان يذهب مذهب مالك وهجره علماء مصر ، قال السلمي وأخرج أبو سليمان الداراني من دمشق وقالوا إنه يزعم أنه يرى الملائكة وأنهم يكلمونه ، وشهد قوم على أحمد بن أبي الحواري أنه يفضل الأولياء على الأنبياء فهرب من دمشق إلى مكة ، وأنكر أهل بسطام على أبي يزيد البسطامي ما كان يقول حتى أنه ذكر للحسين بن عيسى أنه يقول : لي معراج كما كان للنبي معراج ، فأخرجوه من بسطام .

قال ابن الجوزي : وقال السلمي وحكى رجل عن سهل بن عبد الله التستري أنه يقول : إن الملائكة والجن والشياطين يحضرونه ، وأنه يتكلم عليهم فأنكر عليه ذلك العوام حتى نسبوه إلى القبائح فخرج إلى البصرة فمات بها .

قال السلمي وتكلم أحمد على الحارث المحاسبي في شيء من الكلام والصفات فهجره أحمد بن حنبل فاختنفى إلى أن مات .

قال ابن الجوزي : " وقد ذكر الخلال في كتاب السنة عن أحمد بن حنبل أنه قال : حذروا من الحارث أشد التحذير ، الحارث أصل البلية - يعني في حوادث جهم - ذاك جالسه فلان وفلان وأخرجهم إلى رأي جهم " تلبس إبليس (ص ١٥٠-١٥١) . "

فهذا ما نقله السلمي ونقله عنه ابن الجوزي في كبار الصوفية وأئمتهم وليس هؤلاء من أئمة الحديث ولا من أئمة الفقه والتفسير ، وهذه مواقف معاصريهم من العلماء وغيرهم ، وأما عبد القادر فسيأتي الحديث عنه وعن كتابه الحلية .

وقال الذهبي : (قال الحافظ سعيد بن عمرو البردعي : شهدت أبا زرعة وقد سئل عن الحارث المحاسبي وكتبه فقال للسائل : إياك وهذه الكتب هذه كتب بدع وضلالات عليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغنيك قيل له في هذه الكتب عبرة فقال من لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة بلغكم أن سفيان ومالك والأوزاعي صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس ما أسرع الناس إلى البدع مات الحارث سنة ثلاث وأربعين ومائتين وأين مثل الحارث فكيف لو رأى أبو زرعة تصانيف المتأخرين ك (القوت) لأبي طالب وأين مثل القوت كيف لو رأى بهجة الأسرار لابن جهضم ، وحقائق التفسير للسلمي لطار لبه كيف لو رأى تصانيف أبي حامد الطوسي في ذلك على كثرة ما في الإحياء من الموضوعات كيف لو رأى الغنية للشيخ عبد القادر كيف لو رأى فصوص الحكم والفتوحات المكية بلى لما كان الحارث لسان القوم في ذاك العصر كان معاصره ألف إمام في الحديث فيهم مثل أحمد بن حنبل وابن راهويه ولما صار أئمة الحديث مثل ابن الدخيمسي وابن شحانة كان قطب العارفين كصاحب الفصوص وابن سفيان⁽¹⁾ نسأل الله العفو والمسامحة آمين) ميزان الاعتدال في نقد الرجال (١٦٦/٢) .

أما شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - فهو من أعظم أئمتنا وله جهاد عظيم في نصرة الإسلام والسنة قل من يلحقه فيه وله نقد شديد على الصوفية في عدد من كتبه كالفرقان

كذا والصواب ابن سبعين (1)

والفرقان بين الحق والباطل والرد على أهل وحدة الوجود ، كما له مؤلفات عظيمة في الرد على الأشاعرة والفلاسفة واليهود والنصارى والروافض ، ولتلاميذه الكبار كابن القيم وابن عبد الهادي ردود على طوائف أهل البدع ولا سيما الصوفية .

ومع هذه المنازل العظيمة لهم ومع جهادهم العظيم فإننا نتعامل مع أقوالهم بتلك القاعدة الذهبية التي قررها السلف وعلى رأسهم الإمام مالك " كل يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم " ونتعامل بما يقوله شيخ الإسلام " الرجال يحتج لهم ولا يحتج بهم " وبما يقوله : " إذ الأمة متفقة على أنه إذا اختلف مالك والأوزاعي والثوري وأبو حنيفة لم يجز أن يقال قول هذا هو صواب دون هذا إلا بحجة " مجموع الفتاوى (٥٨٥/٢٠) ولا نتعامل معهم كما يتعامل متعصبة أهل الأهواء فنسلم بكل ما يقولون ولا بقاعدة الصوفية " كن مع شيخك كالميت بين يدي الغاسل " وقاعدة " لا تعترض فتنترد " بل نأخذ منهم ما وضع برهانه وقامت حجته وما ليس كذلك أو فيه مخالفة أو ضعف فلا نلتزمه بل نرده مع احترامنا لهم وإكبارنا لهم واعتقاد أنهم أئمة مجتهدون كغيرهم من أهل الاجتهاد للمصيب أجران وللمخطئ أجر .

وقول القارئ : ويقول - يعني ابن تيمية - : .. وفي المتسمين بذلك - أي التصوف - من أولياء الله وصفوته وخيار عباده ما لا يحصى عدده .. "

أقول : أخذت من كلامه ما تحب وتركت منه ما تكره ، فقد قال - رحمه الله - قبل هذا الكلام : " وقد تكلم به - يعني التصوف - أبو سليمان الداراني وغيره أما الشافعي فالمنقول عنه ذم الصوفية وكذلك مالك فيما أظن وقد خاطب به أحمد لأبي حمزة الخراساني وليوسف ابن الحسين الرازي ولبدر بن أبي بدر المغازلي .

وقد ذم طريقهم طائفة من أهل العلم ومن العباد - أيضاً من أصحاب أحمد ومالك والشافعي وأبي حنيفة وأهل الحديث والعباد ومدحه آخرون .

والتحقيق أنه مشتمل على الممدوح والمذموم كغيره من الطريق^(١) .

وأن المذموم ما قد يكون اجتهادياً وقد لا يكون وأنهم في ذلك بمنزلة الفقهاء في الرأي ، فإنه قد ذم الرأي من العلماء والعباد طوائف كثيرة والقاعدة التي قدمتها تجمع ذلك كله ، ثم ذكر الكلام الذي نقله عنه القارئ .

ثم قال : " وبهذا يتبين لك أن البدعة في الدين وإن كانت في الأصل مذمومة كما دل عليه الكتاب والسنة سواء في ذلك البدع القولية والفعلية وقد كتبت في غير هذا الموضع أن المحافظة على عموم قول النبي صلى الله عليه وسلم : " كل بدعة ضلالة " متعين وأنه يجب العمل بعمومه .

ثم أخذ ينتقد من يقسم البدع إلى حسن وقبيح -رحمه الله- بمجموع الفتاوى (١٠/٣٧٠-٣٧١) .

وأقول للقارئ لماذا لم تنقل هذا الكلام وهو من صميم البحث في التصوف وبه يظهر كلام أهل العلم من السلف الكرام وموقفهم من التصوف سلباً وإيجاباً .
ألا يصدق عليك القاعدة " إن أهل الأهواء يأخذون ما لهم ويدعون ما عليهم " .

١- نحن مع السلف الذين ذموا التصوف لأنه يقوم على البدع وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

٢- نحن مع السلف الذين يأتي على رأسهم مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وأتباعهم وأبو زرعة الذين أنكروه وذموا وبدعوا أهلهم وحذروا منهم ومنه ، ونحن مع أئمة الإسلام والحديث الذين أشار إليهم الذهبي لأن معهم الحجج على ذمه .

بل نحن مع الإمام ابن تيمية وتلاميذه في ذم التصوف والرأي المذموم المخالف للكتاب والسنة وله كلام قوي في الرأي وأهله . انظره في كتابه " تحريم التحليل " وقرأ ما كتبه ابن القيم في " إعلام الموقعين " في ذم التقليد القائم على الهوى والتعصب الأعمى والآراء ودم

(١) : كذا ولعله " من الطرق " .

ذلك وهو مذهب أهل الحديث الطائفة المنصورة ونرجوا أن يكون الإمام ابن تيمية من أئمة هذه الطائفة.

٣- نحن لا نعرف أحداً من أئمة الحديث والفقهاء يمدح التصوف ولم يبينهم لنا شيخ الإسلام فليبينهم القارئ .

٤- نقول لإمامنا ابن تيمية -رحمه الله- كل الطرق تشتمل على الممدوح والمذموم فعند الخوارج ما يمدح ومع ذلك وصفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم شر الخلق والخليقة وأمر بقتلهم وبين أن لمن قتلهم أجراً عند الله .

والروافض والشيعة والجهمية والقدرية والمرجئة والصوفية على تفاوت بينهم وكلهم عند الأئمة عندهم ما يمدح وما يذم ولم يمنعهم ما عندهم من الحق أن يذموهم ويذموها مذهبهم ويجذروا منهم وينزلون كل طائفة منزلتها ويبينون الأسوأ فالأسوأ، ولا يمنعهم هذا التفاوت من ذم الكل وذم مذهبهم والتحذير منها ، وهذه كتب السلف ماثورة منتشرة بين الناس كأصول السنة للإمام أحمد ولابن أبي حاتم والسنة للحلال والشريعة للآجري والإبانة لابن بطة وأصول اعتقاد أهل السنة للالكائي والحجة للأصفهاني وكتب مقالات الفرق ومنها مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ، والفصل في الملل والنحل لابن حزم وغير ما ذكرنا كثير ، وكلها تنطلق من النصح للأمة ولحمايتهم من غوائل أهل البدع .

وإن من أخطرها وأعمقها أثراً في الأمة لمذاهب الصوفية التي ملأت بلاد المسلمين بالخرافات والضلالات وعبادة القبور بالدعاء والذبائح والندور والغلو في الأولياء واعتقاد أنهم يعلمون الغيب ويتصرفون في الكون وشحن كتبهم بترهات الحلول ووحدانية الوجود . وما أكثر طرق هذه الصوفية وما أخطرها ولا سما الرفاعية والشاذلية والقادرية والتيجانية والنقشبندية والسهوروردية والجشتية والمرغنية وكلها تشترك في عقيدة الحلول ووحدانية الوجود والغلو في أهل القبور .

فهل من النصح للإسلام والمسلمين أن نقوم بالدفاع عن الصوفية والتصوف في عصر نجد أشد المهلكات للأمة هذا التصوف بحجة أن هناك في العصور الأولى صالحين مثل فلان

وفلان ممن حذر من بلائهم أعلام الأمة كالشافعي وأحمد وغيرهم والحق معهم ، وجرحهم مقدم على تعديل من عدلهم والحجج معهم ، ومن منهج السلف أن الجرح المفسر مقدم على التعديل .

ثم إن مؤلفات الصوفية تدينهم ، تدين مؤلفيها وأتباعهم وواقعهم المرير يدينهم فماذا تريد أيها القارئ بإثارة موضوع الصوفية في هذا الوقت الذي تكالب فيه أهل الضلال على أهل السنة ، ومن أشدهم على أهل السنة الصوفية والروافض ، وانظر واقعهم وانظر قنواتهم الفضائية ومواقعهم على الشبكة العنكبوتية ومؤلفاتهم وكيف يتكالبون على ابن تيمية نفسه الذي تريد أن تجعل منه منطلقاً للذب عن الصوفية والتصوف وهيهات .

فوالله ما تعلمنا وغيرنا محاربة البدع ومنها التصوف إلا من هذا الإمام ، فاتق الله وانصح لله وللإسلام والمسلمين ودع هذه الأساليب التي لا يستخدمها إلا الصوفية والتي لا تزيد المسلمين إلا بلاء على بلائهم .

واترك التمويه بآبن باز فإنه نصحك باللطف بالصوفية ولم يأمرك بالدفاع عنهم ومحاربة من يقول كلمة الحق فيهم .

٩- قال القارئ :

" رابعاً - التلطف مع الصوفية كانت وصية الشيخ ابن باز - رحمه الله - لي ولغيري من طلبة العلم وأهل الدعوة ، بل كان يوصي بالتلطف مع الناس كافة حكماً ومحكومين ، والصوفية إخواننا ، نشترك معهم في دائرة واحدة هي دائرة أهل السنة والجماعة ، وما بيننا وبين بعضهم من اختلاف يجب أن نعالجه برفق ولين ، ومن انحرف منهم عن الجادة نناصحه كما نناصح أي منحرف من أهل الإسلام ، صوفياً كان أم سلفياً " .

أقول : متى كنت متشديداً على الصوفية حتى يهتم بك ابن باز فيوقف زحفك على الصوفية ويهدئ صولاتك عليهم ؟ .

أنت يا سيد كنت ولا تزال شديداً على السلفية في الوقت الذي كان ينصرهم ابن باز ويدافع عنهم ويشجعهم على نقد أهل الباطل من الأحزاب وغيرهم ، أنت كنت تحارب

السلفيين على منبر مسجد قباء وتذمهم وتؤلب عليهم وتسميهم بالخلوف ولا تزال على هذا النهج ، فشدتك وطول لسانك على أهل السنة والحق ، فعليهم تصول وتجول لا على صوفية ولا على غيرهم ولا أريد أن أتوسع فأبين التزامك بنصائح ابن باز وعدمه .

وقولك : " وما بيننا وبين بعضهم من اختلاف يجب أن نعالجه برفق ولين " .

أقول : باسم من تتكلم ؟ وكم قدمت للصوفية من علاج ؟ وهل أنت مع غالبهم على وفاق ؟ لا أستبعد ، وإلا فكيف تقول وما بيننا وبين بعضهم من اختلاف ؟ يا هذا للسنة رجالها ، ولو وكلت إلى أمثالك لانتهت ، وتذكر المثل القائل " وكل إناء بما فيه ينضح " .

وإذا كنت ترى أنك والبريلوية والتيجانية والمرغنية والنقشبندية والسهروردية وغيرهم على منهج واحد فأنت وشأنك ، فأما أهل السنة والحديث في مشارق الأرض ومغاربها وعلى رأسهم ابن تيمية وتلاميذه وابن عبد الوهاب وابن باز وابن عثيمين والألباني وسائر علمائهم فيأبون ذلك .

وعلى سبيل المثال هذا الإمام ابن تيمية يدخل الأشاعرة في الجهمية ويقول فيهم كلاماً شديداً ، ولا يستثني منهم إلا من قال منهم بما في كتاب الإبانة لأبي الحسن الأشعري فإنه يعده من أهل السنة بشرطين :

١- ألا يظهر مقالة تناقض ذلك .

٢- وأن لا ينتسب إلى الأشعري فإن ذلك بدعة لأنه بذلك يفتح باب شر ، انظر

مجموع الفتاوى (٦ / ٣٥٨ - ٣٦٠) .

هذا مع أن الأشعرية خير من الصوفية ، ومن باب أولى أن يكون الانتساب إليها بدعة ، والصوفية أولى من الأشعرية بالإبعاد عن دائرة أهل السنة لأنهم الآن يجمعون الأشعرية الجهمية إلى ضلالات التصوف التي منها الحلول ووحدانية الوجود التي أصبحت لازمة من لوازم الغلو في التصوف ولا يخلو منه طريق من الطرق التي ذكرناها ، وأما ابن باز فقد أخرج جماعة الإخوان المسلمين وجماعة التبليغ من دائرة أهل السنة .

وقوله : " ومن انخرّف منهم عن الجادة ناصحه كما ناصح أي منحرف من أهل الإسلام ، صوفياً كان أم سلفياً " .

أقول :

يبدو أن القارئ يرى أن الصوفية على الجادة ، عقيدة ومنهجاً ، ونحن نعتقد أنهم بعيدون عن الجادة التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في عقائدهم ومناهجهم وطرقهم وعبادتهم ، والسلفي لا يؤمن عليه من الانحراف ، فإذا وجد من أحد منهم انحراف تقدم له المناصحة ولكن من السلفيين المعروفين بالولاء لها ولأهلها . وعلى كل أنا ما رأيت للقارئ مناصحات واضحة للصوفية قائمة على منهج السلف تردهم إلى جادتهم .

والكلام سهل جداً لكن العمل النافع والبيان الواضح صعب المنال على كثير من الناس ، بل يضيقون ذرعاً بهذا العمل والبيان .

كتبه :

ربيع بن هادي عمير المدخلي

١٩ شعبان ١٤٢٦

من هجرة المصطفى

صلى الله عليه وسلم

.../... يتبع إن شاء الله تعالى .